تقرير حول كتاب

(دعوة التقريب بين الأديان)

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

للمؤلف

أحمد القاضي

دار ابن الجوزي

إعداد: رفعة العنزي

شبكة الألوكة

www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقرير حول كتاب
(دعوة التقريب بين الأديان)

دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية

للمؤلف

أحمد القاضي

دار ابن الجوزي

إعداد: رفعة العتري

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

في هذا الكتاب سأتناول بإذن الله الباب المتعلق بمسألة تقريب الأديان بالتلخيص والتعليق، فقد وضَّح الكاتب في بداية الباب وقبل البدء في نقض دعوة التقريب ميزةَ دين الإسلام؛ حيث بيَّن أنه واحد لا يتبدل، وهو الدين الذي لا يُرتضى سواه، وبه ختم الله الأديان، والوحي، ونبيه خاتم الأنبياء وكتابه آخر الكتب، جاء مهيمنًا على ما سبقه من كتب.

وهذه الأصول معلومة بالدين بالضرورة، فإذا تقررت عُرف بطلان دعوى التقريب، فكل دين من الأساس وقبل النقاش سوى دين الإسلام باطل، فهو إما منسوخ أو محرف أو موضوع، وقد جاءت آيات القرآن صريحة في بيان ذلك، **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [آل عمران: ٨٥]؛ حيث لا موضع للشك أو الجدل، بل إن في كتب الأمم السابقة ما يشهد على ذلك.

وقد ناقش الكاتب هذه الدعوة في ثلاث مباحث:

١- دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان.

٢- دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان.

٣- شبهات دعاة التقريب بين الأديان وكشفها.

المبحث الأول: دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان:

ذكر الكاتب في هذا المبحث أسباب بطلان دعوى التقريب بين الأديان، معززًا ذلك بالأدلة من القرآن الكريم، كما يذكر مبررات الداعين للتقارب بنقل بعض من مقالاتهم في كلا الجانبين، اختصر ذلك كالتالي:

أولًا: أنها رغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام:

فمن رام القرب من اليهودية والنصرانية، فضلًا عن سائر الملل الوثنية، فقد رغب عن ملة إبراهيم التي هي الحنيفة المسلمة، وقد أمر الله عباده المؤمنين بلزومها، فقال: **{مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ}** [الحج: ٧٨]، ومِلتُه هي ملة الأنبياء قبله وبعده، وهي الإسلام بمعناه العام الذي يعني إسلام الوجه لله تعالى بالإخلاص وحده دونما سواه، ونبذ الشرك، والإحسان في عبادته، وذلك أحسن الدين: **{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}** [النساء: ١٢٥].

ثم ذكر الكاتب حال اليهود والنصارى مع دينهم، وانحرافهم عن ملة إبراهيم عليه السلام، وذكر أن الله عز وجل قد برأه في كتابه من كفرهم؛ حيث قال: **{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** [آل عمران: ٦٧].

وبيَّن الكاتب من خلال ما سبق أن الدعوة إلى التقارب مع اليهود والنصارى، حيدة عن ملة إبراهيم ورغبة عنها، ثم أورد الأدلة على بيان الصراط المستقيم والدين الحق.

ثم ذكر شواهد دعاة التقريب، منها مقولة شريف جاه: "كي يكون المرء مسيحيًا أو مسلمًا، ليس من الضروري أن يكون من الناحية الروحية ساميًا"؛ أي منتميًا إلى ملة إبراهيم، أبي الساميين.

ثانيًا: أنها ابتغاء غير الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم:

قال تعالى: **{{فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [البقرة: ١٣٧]، ودين الإسلام هو ما أرسل الله به رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، وقد نسخ الله به سائر الأديان.

غير أن دعاة التقريب كان لهم مفهوم آخر لهذا المبدأ، يقول عبد اللطيف غزالي: "الإسلام الذي لا يقبل غيره الله، هو أن تسلم وجهك لله وأنت محسن، وأي امرئ كان هذا حاله، فإنه مسلم سواء كان مؤمن بمحمد أو كان من اليهود أو النصارى أو الصابئين، فله أجره عند ربه..".

قلت: بلا شك أن هذا مفهوم باطل وخاطئ؛ إذ يسوي بين الأديان المحرفة والمبدلة عن الدين الحق المحفوظ، ولا يجعل قيمة من بعثة الرسول وإنزال الكتاب، بل حتى للدعوى لدين الله، ويبيح عبادة الله بأي صورة يرتضيها المرء حتى من غير الأديان السماوية، وهذا نقيض إرادة الله وأمره.

ثالثًا: أنها طعن في القرآن وهيمنته على الكتب السابقة:

يقول تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} [المائدة: ٤٨]، وهذا من أعظم الأدلة التي تنقض دعوة التقريب، وقد حاول دعاة التقريب تأويل أو تحريف معاني القرآن لتمرير باطلهم، أو لإيجاد مبررات لدعواهم ومن ذلك:

١- المناداة بإخضاع النص القرآني للنقد التاريخي، ومن شواهد ذلك ما قاله محمد حسين فضل الله: "ويتساءلون - يقصد علماء النصارى - هل يمكن أن نطبق النقد التاريخي على القرآن كما نطبقه على الكتاب المقدس، ليكون الحوار حرًّا..".

ويقول موريس بورمانس: "أو من الممكن أن نخضع على قدم المساواة النصوص المقدسة الكتاب المقدس والقرآن، لنفس متطلبات النقد التاريخي".

٢- دعوى تاريخية القرآن التشريعية بغرض تعطيل الحدود والأحكام التي تميز المجتمع المسلم عن سائر المجتمعات، وتحول دون تقريب أهل القرآن من الأديان الأخرى، يقول روجيه جارودي: "إن كل آية قرآنية نزلت من الملأ الأعلى إلى التاريخ، فلا مجال لتطبيق نصوص آية تطبيقًا حرفيًّا بمعزل تام عن مضمونها التاريخي التي نزلت فيه".

٣- التأويل المذموم وذلك بلَيِّ أعناق النصوص الدالة على كفر اليهود والنصوص، وحملها محامل أخرى، يقول سميح دغيم: "إن المشكلة الرئيسية ليست في النصوص الإسلامية والمسيحية المنزلة، بل في قراءة وتفسير تلك النصوص ... وفي يومنا هذا لا توجد منهجية لقراءة النصوص القرآنية".

قلت: نقده غير مبني على المنهجية العلمية، ولا على فهم حقيقي لواقع القرآن وتاريخه؛ إذ حال القرآن يختلف تمامًا عن حال التوراة والإنجيل في نزوله وحفظه وتناقله، فقد حبى الله القرآن بميزة تفرد بها عن الكتب السماوية السابقة؛ إذ تكفل بحفظه و لم يكلها لأتباعه، كما كان الحال في الكتب السماوية الآخرى.

كما أن الدراسة التاريخية الموضوعية للقرآن الكريم يختلف الحال فيها عن الكتب الأخرى التي تعرضت للتحريف وتبديل المعاني والإضافات وضياع بعضها؛ مما جعل نسخه ما بين المنقطع والمقطوع، على غير حال القرآن الذي لم يتبدل حرف منه و لم ينقطع إسناد رواته منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، حتى حفظ من التبديل والتحريف، فكل نسخة واحدة لم تتغير، والدراسات التاريخية شاهدة على ذلك.

رابعًا: أنها موالاة لأعداء الدين:

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ}** [الممتحنة: ١]؛ حيث من أولويات التقريب بين الأديان التأكيد على المحبة والأخوة والاحترام ونحوها من شعارات الولاء؛ مما يفضي إلى تحطيم عقيدة الولاء والبراء.

ومن مقولاتهم قول الشيخ أحمد كفتارو: "ليتحابب أهل الأديان السماوية ويناصر بعضهم بعضًا"، وغيرهم كثير أمثال د. يوسف القرضاوي والشيخ محمد أبو زهرة.

وغيرها من مبررات فصل في ذكرها الكاتب.

ولي ملاحظات على ما ذكر المؤلف في هذا المبحث:

- عنونته لمفردات المبحث عامة وليست دقيقة، كما أن نقولاته قد لا ترتبط بالموضوع بشكل مباشرة؛ مما يفقد المبحث الموضوعية، ويكون فيه إطالة.

- ولعموم مفرداته قد يكون في بعضها مدخل من الخصم علينا ودليل لهم للتقارب؛ حيث قال في السبب الأول "أنها رغبة عن ملة إبراهيم"، ولعل اليهود يعارضونا في ذلك؛ حيث يعد إبراهيم أبا الأنبياء، فيكون لهم مدخل في أننا جميعًا تحت ملته، وإن اختلفت كُتبنا، حتى وإن وضحنا أن ملته هي الإسلام فقد يدعون كما ادعينا.

- في عنونته "أنها موالاة لأعداء الدين"، كان الأنسب قول: فيها مخالفة لعقيدة الولاء والبراء؛ إذ تعد أصل في علاقتنا مع المخالف.

المبحث الثاني: دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب:

تحدث الكاتب في هذا المبحث عن الأمثلة الواقعية والتطبيقات العملية التي نتجت عن دعوى التقريب بين الأديان؛ ليدلل على بطلان دعاتها في واقع أمرهم، وأنها مجرد دعوى يريدون منها تقديم تنازلات من الطرف الثاني دون أن يتقدموا هم بشيء، بل على العكس نجدهم أكثر تمسكًا بعقيدتهم، وأكثر دعوى للطرف الثاني من القرب منهم، من خلال التنازل عن ما يضر معتقدهم هم، فبذلك تكون دعوى التقارب بين الأديان لتحقيق مصالح لهم، وإخضاع خصمهم وجعله تحت تأييدهم ورأيهم، **والدليل على ذلك ما ذكره الكاتب من بعض الأمثلة والوقائع، نذكر منها ما يلي:**

١- إصرار النصارى على دينهم وعدم اقترابهم من الحق:

فالمتتبع لدعوة التقريب التي أطلقها النصارى، يجد أنهم لم يحيدوا عن مواقفهم قدر أنملة، فحقيقة واقعهم هم يريدون من غيرهم الاقتراب، ولا يقابلون ذلك إلا بالشعارات الرنانة، والبيانات الإعلامية، ليظهروا هم بصورة المتقرب الداعي للتآخي.

ومن شواهد ذلك:

١- إصرار النصارى على الجهر بالسوء، فكلمة البابا يوحنا بولس الثاني في المغرب، وكلمة رئيس أساقفة أسبانيا أنركيترانكون، والأب موريس بورمانس؛ جميعهم أكدوا على التمسك بعقيدتهم الشركية، وأكدوا أنها لا تقل أهمية من معتقد المسلمين، ولذا لا بد من تقرير المسلمين لهم في هذه العقيدة.

٢- إصرارهم على إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فواقع النصارى في مؤتمرات وندوات التقارب لا يقر بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، على عكس موقفهم مع أنبياء بني إسرائيل، بالرغم من مواجهة المسلمين الصريحة لهم في الندوات التي أقيمت في ليبيا وقرطبة وغيرها.

ولا أفصح من مقولة الأب جاك جونية حينما قال: "إن الاعتراف بمحمد نبيًّا يعني الاعتراف بكل ما يتضمنه القرآن، وبالتالي فإن محمدًا خاتم المرسلين وخاتم الأديان، وهذا لا يعتبر سوى إلغاء لإنجيل المسيح".

قلت: لا خطاب ولا نقاش مع من لم يتفق معنا في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهو مبشَّر به في كتبهم، فإن جحدتم ما نُصَّ عليه في كتابكم، و لم تجعلون نقطة اتفاق ننطلق منها في الحوار، فعلى ماذا نجتمع للحوار، وأنتم أنكرتم أمرًا واضحًا لديكم، وحقيقة الأمر ما قاله الله عز وجل في كتابه: **{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ}** [البقرة: ١٢٠].

٣- إصرارهم على الاستمرار في الدعوة إلى دينهم في المجتمعات الإسلامية!

فهم يرون ذلك من حقوقهم، يقول موريس بورمانس في إحدى مؤتمرات التقارب: "إن الرجال القائمين على الحوار، إن كانوا مؤمنين حقيقيين، فعليهم الالتزام بالاعتراف من كل طرف للآخر بحقه في القيام بمهمته الرسولية، بل أيضًا واجب القيام بعمل تبشيري"!

ثانيًا: مساواة كتاب بما كتبوه بأيديهم وقالوا: هو من عند الله:

الحقيقة أن كل دعاة التقريب يتفقون على احترام الكتب السماوية، ويعدون ذلك شرط من شروط التقارب، ويطلقون على التوراة والانجيل والقرآن مجتمعه "الكتب السماوية" و"الأسفار المقدسة"، ونحوها من الألقاب التي تقر بصحة ما في التوراة والانجيل، والتي سلم بمسماها دعاةُ التقريب من المسلمين من أجل دعوى التقارب، مخالفين بذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة.

و لم يقتصر هذا التقرير على التوراة والإنجيل، بل كل كتاب مقدس عند كل ملة، من وثنيين وغيرهم؛ ليخلطوا بذلك بين الحق والباطل، ومن شواهد ذلك:

ما قاله روجيه جارودي: "الإسلام الحي ينبغي له أن يغتني لدى كبار رواد الروح الذين اعترفوا بأبعادها الإلهية من "الأوبانيشاد" في الهند، إلى "طاوية" تشوانغ تسو... وستكون النظرية اللاهوتية الإسلامية أغنى، بقدر ما تدمج أعمق المساهمات في تفسير الكتابيين المترلين السابقين ولاهوتيهما...".

هذا ما رضيه النصارى لأنفسهم، ويريدون أن يستدرجوا إليه نظراءهم من دعاة التقريب من المسلمين، قلت: لو أنكم آمنتم إيمانًا حقيقيًّا بكتبكم، لاكتفيتم بها هاديًا ودليلًا، ولما تأملتم في ما عند الوثنيين من روحيات وغيرها.

ومن صور مساواة القرآن بكتب أهل الكتاب:

١- الدعوة إلى طباعة الكتب الثلاث في كتاب واحد، وقد نادوا بذلك أواخر السبعينيات الميلادية في سيناء مع رواد التقارب والتطبيع مع اليهود، إلا أن أرادت الله حالت دون مبتغاهم وهلك دعاة هذا النوع من التقارب؛ يقول الشيخ بكر أبو زيد: "كيف لا يستحيي من المنتسبين إلى الإسلام من يدعو إلى طبع هذه الأسفار والإصحاحات المحرفة المفترى فيها، مع كتاب الله المعصوم "القرآن الكريم"، إن هذا من أعظم المحرمات، وأنكى الجنايات، ومن اعتقده صحيحًا فهو مرتد عن الإسلام".

٢- عقد المؤتمرات باسم الكتب الدينية؛ حيث يضم القرآن مع غيره، مما يشعر بالاعتراف بها، وأنها والقرآن على حد سواء، ومن تلك المؤتمرات: مؤتمر كلمة الله في دير سيننكا المنعقد عام ١٩٧٧م، والأسفار الخمسة في ١٩٧٩م، وكلمة الله والكتب المقدسة المنعقد في الرباط عام ١٩٨١م وغيرها كثير.

وفي تلك المؤتمرات يستهلون اللقاء بقراءة في نصوص القرآن، ثم الإنجيل والتوراة، وهذا بلا شك فيه تقرير لصحة تلك الكتب والخلط بين الحق والباطل، وعز من قال: **{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}** [الإسراء: ٨٨].

ثالثًا: مساواة بيوت الله بمعابد الكفار:

هذا الأثر نتيجة للأثر السابق ومماثل له، فقد كان من آثار التسوية بين الكتب السماوية والقرآن الكريم، جعل أماكن العبادة على حد سواء، ومساواة الكنائس وما فيها من صلبان وتماثيل وشركيات بمساجد الله، **ومن شواهد التسوية:**

١- بناء مجمع لأماكن العبادة يضم مسجدًا وكنيسة وكنيسًا في وادي الراحة بسيناء يسمى "مجمع الأديان".

والحقيقة أنهم يرمون بذلك إلى التطبيع مع اليهود، وتمييع الدين الإسلامي، لكسر حاجز النفرة والعداوة المتأصلة بين اليهود والذين آمنوا، وسعوا إلى نشر ذلك في كل مكان بالجامعات والمطارات والساحات العامة؛ ليقر في قلوب الناس أن الأديان سواء، وأنها توصل إلى الله، وأنها أماكن عبادة على حد سواء، وتستحق الإكرام.

ولم يقتصر على الأديان الثلاث، بل ضم معابد الوثنيين، كما هو في العاصمة الإندونسية جاكرتا، فقد ضم المجمع المعابد المعترف فيها هناك: الإسلام والنصرانية والبوذية والهندوسية، يضم مسجدًا وكنسة ومعبدًا بوذيًّا وهندوسيًّا، تنصب بجانب بعضها البعض.

وقد أنكر علماء المسلمين هذه البدعة ذات اللوازم الكفرية، وحذروا منها، فقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة: "أنه لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة بناء مسجد وكنيسة ومعبد في مجمع واحد، لما في ذلك من الاعتراف بدين غير دين الله "الإسلام"، وإنكار ظهوره على الدين كله وعلوه..".

قلت: هذه التسوية من قبل المسلم ذنب عظيم وإثم مبين، فالمساجد من شعائر الله لها حرمتها ورعايتها وتعظيمها، وهذا الفعل بلا شك مخالف لما أمرنا الله من تعظيم شعائره، بل مساواة المعبودين بعضهم ببعض، تعالى الله عن تلك الشركيات والمعبودات علوًّا كبيرًا.

رابعًا: مشاركة أهل الكتاب والمشركين في الصلوات والابتهالات والمناسبات الدينية:

وقد نتج عن ذلك مشاركاتهم في العبادات من صلاة وصوم وغيرها من شعائر وطقوس ذكرها المؤلف.

وهذا من ثمار دعاوى التقارب والتسوية بين الكتب وأماكن العبادة التي نتجت إلى مشاركتهم في عبادتهم، وما هذا إلا من الكفر بعقيدة القرآن وبرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ومداهنة ومتابعة لأهل الكفر في شركياتهم التي دعا الله إلى التبرؤ منها، واتباع هدي القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أمروا به من عبادات وقربات إلى الله، والبراءة من الشرك وأهله.

وقد حصل في العقود الثلاثة الأخيرة ممارسات ومواقف باطلة على هامش لقاءات ومؤتمرات للتقارب في إفريقيا وغانا وسويسرا، وغيرها كثير مما ذكرها الكاتب.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصه به، فحرام بالاتفاق، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم، فيقول: عيد مبارك عليك، ونحوه، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات، وهو بمنزلة أن

يهنئه بسجوده للصليب، بل ذلك أعظم إثمًا عند الله، وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر، وقتل النفس، وارتكاب الفرج الحرام ونحوه، وكثير ممن لا قدر للدين عنده يقع في ذلك..".

خامسًا: إجراء الدراسات الدينية المشتركة، ومقارنة الأديان:

وما ذلك إلا ترجمة علمية لتلك الدعاوى والممارسات، والتي ترعاه مؤسسات أنشأت لذلك الغرض وعامتها بمبادرات نصرانية؛ لأنهم الأكثر مصلحة من تلك الدعاوي، ومنها:

١- معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية التابع لجامعة القديس يوسف المؤسسة عام ١٩٧٧م.

٢- مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي التابع لمعهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت في حريصا، وقد نشط هذا المركز عام ١٩٩٥م.

٣- مركز الدراسات المسيحية الإسلامية التابع لجامعة البلمند للطائفة الأرثوذكسية المؤسس عام ١٩٩٥.

وكذلك المعهد العالي للدراسات الإسلامية الذي يقوم بتبادل الأساتذة مع المؤسسات العلمية النصرانية، وفي الأردن وتونس والمملكة المتحدة، وأمريكا نشطت كذلك مثل هذه المراكز وانتشرت.

سادسًا: عرض الإسلام بصورة مشوهة:

لعل المستفيد الأكبر من هذا العرض دعاة التقارب بين الأديان من النصارى الذين تمسكوا بعقائدهم دون تنازل، بل وسعوا جاهدين لتمييع العقائد الأخرى، وخلطها حتى تَمحي أثرهم وما يُميزهم عنها.

وقد نشأ من هذه العملية أثران سيئان:

١- انصراف الباحثين عن الحقيقة، وعن اعتناق الإسلام وزهدهم به، حيث لم يروا فيه سوى فلسفة صوفية منحازة عن الحياة والنشاط الإنساني، كما أبرزتها النصرانية بهذه الصورة.

٢- انخراط بعض المخدوعين في هذا اللون من البدع الكفرية، بحسبان أنها من الإسلام. **ومن أمثلة ذلك:**

يقول غالليندو مؤسس جماعة كريسلام: "إن الصوفية هي الطريق لتوحيد الأديان".

وقد عقدت مؤتمرات عديدة لإبراز دور المتصوفة، وتمجيد ذكرهم، في سياق مؤتمرات التقريب بين الأديان، كان منها:

مؤتمر صوفيوا الصحراء في دير سنيكا في فرنسا، عام ١٩٧٤م.

مؤتمر التصوف الإسلامي والتصوف المسيحي في صقلية، ١٩٨٣م.

وسبب الحرص على فرقة الصوفية، لما فيها من ضلالات مشابهة لما عند النصرانية، وبيان ذلك مقولة أحد الصوفية المعاصرين: ولئن ذهب بعض الناس إلى تأليه المسيح، فذلك لشدة انعكاس نور الله في قلبه، كما تعكس المرآة الصافية نور الشمس..".

لذلك قال داعية التقريب بين الأديان روجيه جارودي: "لقد فتنني كثيرًا أولئك المتصوفة الذين أدركوا بعمق يثير الدهشة حقًّا تلك المسافة اللاغية أو لنقُل: الحضور الغائب بين الأنا الإلهية والأنا البشرية".

وهم بذلك لا يقلون خطورة عمن يشوهون الإسلام بأنه دين العنف والعدوان.

وقد نتج عن هذا الارتباط جماعات اعتنقت الإسلام بعقد صوفية، ووجد ذلك في أوروبا منطلق للتقارب الذي جمع بينهم خصائص مشتركة، وهي:

١- سلوك الطرق الصوفية المعروفة في العالم الإسلامي من قادرية ونقشبندية وترقاوية.

٢- إقامة علاقات مشبوهة مع الكنائس المحلية والتوغل في التقارب المسيحي.

٣- نبذ الإسلام بصفته الشمولية، والاندماج التام في البنية الأوروبية.

ومن أمثلة هذه المجموعات: (جمعية قريش في إيطاليا- الجماعة الإسلامية في إسبانيا- جماعة أصدقاء الإسلام في ألمانيا).

سابعًا: استغلال النصارى شعار التقريب لنشر دينهم:

وهو كما سبق وأشرت إليه وما بينه المؤلف من مواقف النصارى في التقارب، فقد كانوا الرابح الأكبر في هذه الدعوى، يقول الدكتور ظفر الإسلام: "هذه الحوارات لا تفيد أحدًا، إلا المبشرين الذين فشلوا في جهودهم الميدانية لتنصير المسلمين، وهم يأتون إلى هذه الحوارات ليتعلموا المزيد عن الإسلام والمسلمين..".

ومن المكاسب التي اكتسبها النصارى:

١- استلال اعترافات صريحة وضمنية من محاوريهم المسلمين - من دعاة التقريب - بصحة دينهم، وسلامة كتبهم، وصواب معتقدهم نضحت بها البيانات الختامية.

وشواهد ذلك: مؤتمر بحمدون الذي جاء في ختامه: "نعتقد نحن المؤمنين بالله تعالى ووصاياه..".

٢- بناء الكنائس ونشر الكتب التنصيرية، والسماح بإقامة أنشطتهم الدينية في بلاد المسلمين.

٣- ظهور النصارى بصورة الدين الأفضل، وزعيمها البابا بصفته القائد الروحاني؛ كما جرى في يوم الصلاة من أجل السلام في إيزي.

٤- إحياء مطامعهم التاريخية في القدس: كما قال البابا بولس السادس في رسالته الموجهة إلى المؤتمر الإسلامي لزعماء الدول الإسلامية المنعقد في الرباط عام ١٩٦٩م: "إن تمثيل الأديان التوحيدية الثلاثة في الأراضي المقدسة، وخصوصًا القدس، يمكن أن يكون بداية التوحيد والانسجام والسلام".

ثامنًا: موالاة اليهود والنصارى بعضهم بعضًا من دون المسلمين:

قلت: وما ذلك إلا لاشتراك مصالحهم، وهو ما ذكره المؤلف من:

١- موالاة النصارى لليهود ومعونتهم في احتلال فلسطين، واضطهاد وتشريد أهلها، **وشواهد ذلك** أن أغلب مؤتمرات التقريب تتجنب الحديث عن احتلال فلسطين من قبل اليهود، بل قد بذلت جميع تلك المؤتمرات محاولات لتطبيع العلاقات بين إسرائيل وجيرانها المسلمين؛ مثل: مؤتمر سلمنكا للحوار الثلاثي عام ١٩٨٦م.

٢- موالاة النصارى بعضهم بعض في العدوان على المسلمين:

فقد انطلقت دعوى التقريب بين الإسلام والنصارى في الوقت الذي كانت كثير من بلاد المسلمين تحت وطأة الاستعمار النصراني، و لم تقدم إدانة الكنيسة النصارى لما تفعله دولُهم من سياسة ضد المسلمين، **وشواهد ذلك** صمت جمعية الأصدقاء الأمريكان للشرق الأوسط الثلاثة عن الانتهاكات التي يتعرض لها المسلمون في الجزائر وقبرص والحبشة.

المبحث الثالث: شبهات التقريب بين الأديان وكشفها:

عرض الكاتب في هذا المبحث أهم شبهات دعاة التقريب، مستشهدًا بأقوال أبرز شخصياتها، مع مناقشتها والرد عليها، وهي مرتبطة بما ذكر في المباحث السابقة من دوافع وأسباب التقريب.

أذكرها هنا بإجمال لارتباط بعضها ببعض، ثم أستعرض شيئًا من نقاش المؤلف عليها وردوده:

١- التقريب بين الأديان وسيلة لتحقيق التعارف المذكور في قولة: **{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}** [الحجرات: ١٣].

٢- التقريب وسيلة للدعوة إلى الله، وتفهمها من قبل الغرب.

٣- التقريب وسيلة للتعاون بين أتباع الأديان لمواجهة الإلحاد.

٤- التقريب وسيلة لإبراز التسامح الإسلامي، وتحسين صورته المشوهة في الغرب.

٥- التقريب ضرورة يفرضها الواقع العالمي.

٦- التقريب وسيلة لتحاشي النزعات والحروب وصدام الحضارات.

٧- التقريب وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف الطوائف.

٨- التقريب وسيلة لتحسين أوضاع الأقليات الإسلامية في الغرب.

قلت: إن قوله تعالى: **{وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}** [الحجرات: ١٣]، ليس من أجل الانخراط ببعضكم البعض، وتكون هذه المعرفة على أساس التنازل عن المعتقد، بل من أجل معرفة أن ما يميزكم كشعوب هو التقوى، والتقوى الحقيقية هي ما صورها لنا الشرع الإسلامي، من تساوي أفرادهم، وعدم تميز بعضهم البعض، لا بالجنس ولا العِرق، إنما تتحقق الأفضلية بمدى تقواهم لله وانصياعهم لهم، وحسن دينهم، هذا ما رأيناه واقعًا عمليًّا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد استطاع في فترة قصيرة من جمعهم وتآخيهم كما أخبرنا القرآن، وأصبح ذلك سمة بارزة في دين الإسلام.

على عكس ما نراه في الديانتين اليهودية والنصرانية، فقد عانت شعوبهم على مر التاريخ - وما زالت - من الفوارق العرقية والجنسية والمادية بين الأفراد بعضهم البعض، فكيف يدعون إلى تحقيق شيء هم لم يستطيعوا تحقيقه؟!

أما في شأن الدعوى إلى الله، فالمسلم حقيقةً قادر على الدعوى إلى الله لما فيه من دينه من قيم وتعاليم تتناسب مع الفطرة السليمة والعقل الصحيح التي نشَّأ الله خلقَه عليها، وما هذه الشبهة إلا لخدمة النصارى أنفسهم، لتمرير مصالحهم، وأخذ الصلاحيات في تفعيل نشاطهم التبشيري على البلدان الإسلامية.

وعن قولهم: إن في التقريب تعاونًا لمحاربة الإلحاد والفساد، فإن عقيدتهم المحرفة هي التي صادمت العقل والفطرة، وأنتجت الفساد الأخلاقي والاقتصادي الذي آل إلى الإلحاد، فنحن وهم لا نستوي في العقيدة والمعطيات حتى نتساوى في المخرجات.

وأما عن شبهتهم في أنه وسيلة لتحاشي النزعات والحروب، وصدام الحضارات، ووسيلة لإبراز التسامح الإسلامي، وتحسين صورته المشوهة في الغرب، تلك الصورة أنتم من صورها وسعى لإبرازها، وأنتم من أشعل فتيل الحروب والنزاعات، وأنشأ صراعًا حضاريًّا، والتاريخ خير شاهد على ذلك إلى عصرنا هذا، وما استخدامكم لهذه الشبهة إلا لأمر افتعلتموه؛ ليخدم مصالحكم ولتضعفوا المسلمين فيه، وتحملوهم السبب، وتضعوهم في محل المدافع وأنتم الجاني.

وعن شبهة أنه وسيلة لتحقيق الوحدة الوطنية بين مختلف الطوائف، ولتحسين أوضاع الأقليات الإسلامية في الغرب، فإن هذه المشكلة لا يعاني منها المسلمون حقيقةً، فواقع الإسلام السياسي كما هم مؤصل في كتب السياسة الشرعية، ومطبق في عصور المسلمين من عهد الخلفاء وما تلاها من عصور تحكم بشرع الله، لم تواجه هذه المشكلة، بل كان للأقليات غير المسلمة من نصارى ويهود فيها نصيبٌ وافر من العيش في ظل عدل المسلمين وتسامُحهم، والتاريخ خير شاهد، بل مؤلفات من عاش في كنف المسلمين منهم شاهد ودليل على عدل الإسلام وتميُّزه في الحكم.

هذا والله أعلم وأجل، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد

انتهى

المحتويات

المبحث الأول: دلالة الشرع على بطلان دعوة التقريب بين الأديان: ٤
أولًا: أنها رغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام: ٤
ثانيًا: أنها ابتغاء غير الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم: ٤
ثالثًا: أنها طعن في القرآن وهيمنته على الكتب السابقة: ٥
رابعًا: أنها موالاة لأعداء الدين: ٦

www.alukah.net

المبحث الثاني: دلالة الواقع على بطلان دعوة التقريب: ٧
١- إصرار النصارى على دينهم وعدم اقترابهم من الحق: ٧
ثانيًا: مساواة كتاب بما كتبوه بأيديهم وقالوا: هو من عند الله: ٨
ومن صور مساواة القرآن بكتب أهل الكتاب: ٨
ثالثًا: مساواة بيوت الله بمعابد الكفار: ١٠
رابعًا: مشاركة أهل الكتاب والمشركين في الصلوات والابتهالات والمناسبات الدينية: ١٠
خامسًا: إجراء الدراسات الدينية المشتركة، ومقارنة الأديان: ١١
سادسًا: عرض الإسلام بصورة مشوهة: ١١
ومن المكاسب التي اكتسبها النصارى: ١٢
ثامنًا: موالاة اليهود والنصارى بعضهم بعضًا من دون المسلمين: ١٢
المبحث الثالث: شبهات التقريب بين الأديان وكشفها: ١٣
أذكرها هنا بإجمال لارتباط بعضها ببعض، ثم أستعرض شيئًا من نقاش المؤلف عليها وردوده: ١٣